التداخل بين الشخصيتين في رؤيا وردزورث. لكن السؤال الذي يقوم إثر اكتشافنا لهذه العلاقة هو: ما هي إذاً ضرورة العربي للحلم؟ لماذا لم يكن دون كيهوته، الفارس الأسباني، وحده بطل الرؤيا طالما أنه هو الرمز الأكثر شهرة لمثل ذلك المسعى؟

إن رواية سرفانتيس هي في واقع الأمر إحدى المداخل لما نسميه بالمرجعية العربية للحلم. ولنتبين ذلك نحتاج إلى استعادة دون كيهوته العمل الروائي ذي البنية الفريدة من نوعها، دون كيهوته الوثيقة الثقافية – الأدبية الوثيقة الصلة بالعرب. فالمعروف أن سرفانتيس يبتدع في روايته الشهيرة اسم «مؤلف عربي» قائلاً إن ذلك المؤلف هو الذي حفظ الجزء الأكبر من حكاية دون كيهوته من الضياع. ففي المخطوط الذي تركه «سيدي حامد بننجلي» وجد الكاتب الأسباني «تكملة» الرواية التي كانت مهددة بالتجزؤ، ومن ثم بالفقدان.(٦) وإذا كان سرفانتيس يبتدع شخصية ذلك المؤلف العربي لأسباب تتصل بظروف سياسية أو اجتماعية معينة لا شأن لنا بالدخول في تفاصيلها هنا، فإن العلاقة التي أقامتها روايته بين العرب وحفظ جانب من الموروث الأوروبي من شأنها أن تُساعدنا على فهم الربط الذي يقوم به الشاعر الرومانتيكي بعد ذلك بما يزيد على القرن بين العرب وحفظ الكتب بإنقاذها من الدمار.

ولعل من الطبيعي أن نقول هنا إن ما ينسبه سرفانتيس ومن بعده وردزورث للعرب ليس ابتداعاً من جانبهما، وإنما هو صدى للدور التاريخي المعروف الذي لعبه العلماء والفلاسفة العرب في حفظ التراث الإنساني، خاصة علوم اليونانيين وفلسفتهم، وفي الإضافة إلى ذلك التراث إبان إزدهار الحضارة العربية الإسلامية. إننا في الحقيقة إزاء استعادة رمزية لما فعله الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم حين قاموا بإحياء الموروث الأوروبي والإضافة إليه. «بدوي» وردزورث و رواية سرفانتيس يعيدان ممارسة ذلك الدور القديم، الذي أدرك الأوروبيون أهميته منذ العصور الوسطى ووقفوا

---

(٦) انظر :

Miguel de Cervantes, *The Adventures of Don Quixote* trans. J. M. Cohen (Middlesex: Penguin, 1950) 77

كل الإشارات إلى دون كيهوته هي إلى هذه الطبعة. .الناقد الوحيد ، حسب علمي، الذي أشار إلى علاقة ووردزورث بالمؤلف العربي لـ دون كيهوته هو ج. هللس ملر .Miller انظر القائمة الببليوجرافية المشار إليها في التعليق رقم «١».